المثقفون والبناء الفكري

بقلم كارل مانهايم — ترجمة حلمي شعراوي

مقدمـــة ★

كارل مانهايم من فلاسفة الاجتماع السياسي الالمان الذين تناولوا قضايا الفكر والسياسة بالتحليل والتدقيق ، وهو من الذين لـــم يستطيعوا ان يقولوا الكلمة الشريفة داخل بلادهم في العهد النـــازي فخرج ليقولها خارج بلاده في لندن والولايات المتحدة .

وكان من اهم ما كتب فيه كارل مانهايم ، علم الاجتماع المعرفـي او تفسير المعرفة الانسانية من خلال الواقع الاجتماعي ، وقد كـــان هذا الموضوع ـ بعد ان عولج من زاوية معينة عند ماركس ـ يعـــالج بطريقة مثالية عند من جاءوا بعده مثل ماكس شيلر وسوروكين وغيرهم ولكن كارل مانهايم واصل طريق المفكرين الجدليين في هذا الصدد الذين يؤمنون بان الفكر صادر عن الحياة والعمليات الاجتماعيـــة ، وان الفكر ليس مجرد انعكاس لهذه الحياة .

وهو وان كان يصدر مع كارل ماركس عن نبع واحدة او جـذور فلسفية واحدة ، الا انه يبدو مؤتلفا معه احيانا في نفس الموضـــوع واحيانا اخرى في تعدد الموضوعات التي يعالجها . فالاجتماع المعرفـي يتطلب معالجة العوامل الاجتماعية او العمليات المؤثرة في الفكـــر ثم تحديد اي الجوانب الفكرية اكثر تأثرا بها ، ثم معالجة طبيعـــة العلاقة بين الفكر وهذه العوامل . وكارل مانهايم كـان دائمـــا يغلّب العامل السياسي ويرى انه من الصعب ان يفصل المرء بين التركيب السياسي والاقتصادي ، وان كان يشير دائما الى أهمية العـــامل الاقتصادي في تكوين الطوائف والطبقات التي تشكل البناء السياسي المؤثر في المجتمع . ومن اجل ذلك اهتم بعلم السيـــاسة ، وقال ان الطائفة الاجتماعية التي سترتفع عن حدود المصالح الطبقية الماديـة في تفكيرها هي التي ستحدد على يدها الموضوعية في علم السياســـة ، وهي التي ستصيغ الايديولوجية الكلمية الجديدة في المجتمع قائمـــة على الادراك الموضوعي للايديولوجيات الطبقية الفرعية فيه . وقـــال ان التعليم هو الذي سيرفع من ادراك الطبقة المثقفة للعوامل الطبقيـة ومن هنا تخف حدة العامل الاقتصادي وتبرز اهمية العامل السياسي .

اما بالنسبة للجوانب الفكرية التي تتأثر بالعوامل الاجتماعيـة المذكورة فلم يكن كارل مانهايم حاسما او حتميا فيها كما فعل ماركس وانما اعترف مانهايم بالامر الواقع وقال ان العلوم الاجتماعية او الفكر الاجتماعي هو اكثر فروع المعرفة تأثرا بالظروف الاجتماعية للفكر . امـا العلوم الطبيعية فلا تخضع بنفس الدرجة ، الا ان التقدم فيها محدود ولا شك بما تتيحه الظروف الاجتماعية لها سواء بالايديولوجية التـي تحدد درجة قبول التفكير العلمي او الفرصة التي يتركها التعليـــم لمواصلة البحث .

وقد اثارت مشكلة خضوع التقدم العلمي للظروف الاجتماعيةوالبناء الايديولوجي مشكلة فلسفية عالجها كارل مانهايم بحكمة ، فقد هاجم المعترضون الاجتماع المعرفي على اساس انه لا يتيح « للحقيقة » العلمية ان تكون حقيقة في ذاتها والعلم كما يقولون لايتقدم الا بمـدى ما يثبت من حقائق ، اما الاجتماع المعرفي فيجعل الحقيقة « نسبية » ومن هنا يستحيل وجود العلم . ولكن مانهايم سارع بتأكيد الفرق بين النسبية Relativism وبيـن العلاقية Relationism فالاولى نسبية فردية تختلف باختلاف الذهن الفردي ويستحيل ازاءها التحقق التجريبي المشترك وهو ما شاع عند بعض الفلاسفة واولهـم السوفسطائيون . اما العلاقية فهي التي تصور الافكار وهي تصدر عـن علاقة بين المفكر والظروف الاجتماعية وبقدر ما يكشف عن هذهالعلاقة بقدر ما تتأكد « حقيقة الفكرة » او تعرف طبيعة هذه الحقيقة .

من اجل ذلك لم يقف مانهايم عند التفسير الطبقي للافكـــار او الايديولوجيا لان ذلك يجمد الحقائق الاجتماعيـة عنـد وجهـة نظـر معينة ، وانما تعدى ذلك الى القول بانه ما دامت الطبقة المثقفة ستحاول ادراك طبيعة « العلاقة » بين الافكار والطبقة الصادرة عنها فانهـــا ستحاول ان تكون « ايديولوجية كلية » على اساس موضوعي تغـذي بها الايديولوجيات الصاعدة وتثريها وتقف بها بجانب اصحاب الحـق في المجتمع وهي تفصل ذلك مختارة في ظروف من الحرية تستمـر اثناء تكوين الايديولوجية الكلية وبعدها .

لقد جاء مانهايم الى المثقفين الالمان يحلول لازمتهم ازاء القهـــر النازي ووضـــع خطـوط علـــم السياســـة الجديـدة وحلل مشكلاته مثل البناء الفكري والطوائف الاجتماعية .. الخ .

وقد ساهم كارل مانهايم بجهوده العلمية في اكثر من ميـدان ، ففي كتـــــابه « الانسان والمجتمع » Man and Society وضع خطوط التخطيط والتركيب والترشيد الاجتماعي وحدد العناصر الضابطة في المجتمع من تراث الى ثقافة ... الخ . وفي كتـــابه « تشخيص عصرنا » Diagnosis of our Time وضع اسس البناء الاجتماعي الجديد . وله عدة مقالات وبحوثاخرى مما تحتاج الى ان يفرد له مقال لعرض فلسفته كاملة والتعريف بـه .

والذي ارجو ان يتمعن المثقفون في المجتمع العربي اراء مانهايـم وان توضع موضع المناقشة والبحث في معرفة البناء الايـديولوجـي الجديد على ان يثق المثقفون في انفسهم وان يجعلوا من « طبيعتهم » و « الثقافة » و « الحرية » و « الظروف التاريخية » كما يقـــول مانهايم معالم طريقهم .

المترجم

★

كيف يمكننا ان نتصور هؤلاء الذين يحملون البناء الفكري الاجتماعي (١)

★عـــن كتـــاب Ideology and Utopia لكارل مانهايم ،والمترجم عن الالمانية في شيكاغو عام ١٩٣٦

(١) المقصود بالبناء الفكري هنا ترجمة كلمة Perspective وقد اتفق الكاتب في فصل سابق من الكتاب على استخدام هذه الكلمة بدلا لكلمة Ideology التي يخشى ان تتضمن تقييما للفكر او شيئا من هذا القبيل فوجد ان هذه الكلمة اصلح للتعبير عن منظور الفكر كله ورأينا ان نتفق على ترجمتها كذلك لتؤدي هذا المعنى .

والسياسي ؟ وما هي المصالح السياسية التي تقوم على مشكلة البنـاء الفكري في المجتمع ؟ ومن الذين سيجتهدون لتحقيق هذا البناء .

اننا لو اخذنا بمبدأ المطلق الابدي ولم نتوخ فيه اقامة بناء فكري نسبي دينامي فسنرتد الى حالة من الجمود الفكري ، كما اننا سنتعرض لخطر انتقاد التأكيد على طبيعة ارتباط الفكر السياسي بالمصالح ، او ننتهي الى افتراض ان البناء الفكري يصدر عن مصدر خارج النطاق السياسي. فاذا ما اكدنا ان الفكر السياسي مرتبط دائما بوضع معين في النظام الاجتماعي ، فلا بد من افتراض ان الاتجاه نحو بناء فكري كلـي لابـد ان يتمثل في ارادة فئة اجتماعيه معينة .

والحق ان نظرة واحدة الى تاريخ **الفكر** السياسي ستبين ان الذيـن تحدثوا عن البناء الفكري كانوا دائما يمثلون فئة اجتماعيه معينة ، هي اساسا من الطبقات التي تشعر بالتهديد من اعلى ومن اسفل والتـي تسعى ـ خارج نطاق الضرورة الاجتماعية ـ الى طريق وسط . ولكـن هذا البحث عن التوفيق يأخذ منذ البداية صورة ستاتيكيه او ديناميكيه. والوضع الاجتماعي للطبقة التي ينتسب اليها حملة البناء الفكري يحدد الى حد كبير اي هذه الصور هو الذي يتحقق في المجتمع .

ولما كان من اول الصور الاستاتيكية للتوسط بين الطرفين الموقف الذي حاولت ان تتخذه البرجوازيه المنتصرة ، خاصة في عصر الملكية البرجوازيه بفرنسا حيث عبرت عن ذلك بمبدأ « الوسط العـدل » Juste milieu وتعد هذه العبارة الخادعة كاريكاتيرا للبنـاء الفكري الحقيقي في ذلك الحين اكثر منها حلا ، اذ ان الحل لايكون الا في صورة ديناميكيه ، ولهذا السبب يجب ان نبين الاخطاء التي يجـب ان يتحاشاها اي حل للمشكلات الاجتماعية .

ان البناء الفكري الحقيقي ليس متوسطا حسابيا لمختلف الامـال التي تحلم بها طبقات المجتمع ولو كان كذلك لاتجه الى مجرد تثبيت الوضع الراهن (البرجوازي) الذي يتمتع بالحكم والذي يرغب فـي حماية مكاسبه من هجوم « اليمين » و « اليسار » على السواء . ولكن الامر على العكس من ذلك فالبناء الفكري الصحيح لابد ان يقوم علـى وضع سياسي يشكل دفعا تقدميا ، ان يحتفظ وينتفع بالمكاسب الثقافية المتراكمة والطاقات الاجتماعية للعصور السابقة .

وفي نفس الوقت لابد ان يشمل النظام الجديد اوسع القطاعـات في الحياة الاجتماعية ، وان تكون له جذور طبيعية في المجتمع ، حتـى يتيح للتغير ان يتم . ويدعو هذا الوضع الى الانتباه الخاص للظـروف التاريخية الحاضرة . اننا لابد ان نأخذ في الاعتبار كلمتي « هنـا » و « الان » بالمعنى التاريخي والاجتماعي وان نذكرهما دائما لتحديد ماهو ضروري وما ليس ممكنا ازاء اي قضية .

مثل هذه النظرة التجريبية الحساسة دائما بالنسبة لطبيعة المجتمـع الديناميه وكليته ، لايحتمل ان تتطور على يد الطبقة الوسطى ، بـل تنميها فئة ليس لها وضع طبقي « نسبيا » ولا تتمتع بوضع ثابـت في النظام الاجتماعي . وستؤدي دراسة التاريخ من هذه الزاوية الـى افكـار مثمـره .

وهذه الطائفة اللاطبقية نسبيا وغير المستقرة هي على حد تعبيـر « الفريد فيبر » « الطبقة المثقفة الغير المرتبطة اجتماعيا » (٢) ومـن المستحيل ان نعطي في هذا الصدد الخطوط العامة للمشكلة الاجتماعية الصعبة التي تنشأ من وجود المثقف ، لان المشكلة التي نناقشها لا يمكن ان تصاغ او تحل جيدا دون التعرض لبعض جوانب الوضع الذي يتخذه المثقفون . وعلم الاجتماع الذي توجهه نظرية الطبقـات الاجتماعيـة ـ الاقتصادية فقط ، لن يفهم جيدا هذه الظاهرة ، اذ ان المثقفين طبقـا لهذه النظرية لايشكلون طبقة مستقلة او على الاقل ملحقا لطبقة ، ومـع ذلك فقد تستطيع هذه النظرية ان تصف وصفا صحيحا بعض محددات ومكونات هذه الفئة الاجتماعية اللامنتمية ولكنها لاتشمل صفاتهاالاجتماعية الاساسية كلها ، فمن الصحيح طبعا ان جزءا كبيرا من المثقفين عندنا مـن ابناء الطبقة المؤجرة الذين يعتمد دخلهم بطريق مباشر او غير مباشر على الايجارات وارباح الاستثمارات ، ويدخل في ذلك ان تصبـح بعض طوائف الموظفين والمهن الحره من افراد الطبقة المثقفة ، وسيبين الفحص الدقيق للاسس الاجتماعية لهذه الطوائف انهم اقل اندماجا مع طبقة معينة من هؤلاء الذين يشاركون بصورة مباشرة في الانتـاج الاقتصـادي .

وسيكشف اتمام هذه النظرية الاجتماعية بنظرة تاريخية عن كثير مـن الاختلاف وعدم التجانس بين المثقفين ، اذ ان التغير في العلاقات الطبقية في مختلف العصور يؤثر على بعض هذه الطوائف تأثيرا طيبا وبعضهـا الاخر تأثيرا سيئا وبالتالي لايمكن ان نصفهم بالتجانس .

ومع انهم على درجة من الاختلاف بحيث لايمكن اعتبارهم فئة واحدة، الا ان هناك رابطا اجتماعيا واحدا بين جميع طوائف المثقفين هو التعليم الذي يربط بينهم بطريقة ملفتة للنظر . فالاشتراك في تراث تعليمـي واحد يميل كلما تقدم ، الى محو الاختلافات الناشئة عن المولد والمركـز والمهن والثروة ، كما انه يوحد بين المثقفين على اساس التعليم الـذي تلقـوه .

وفي رأيي انه ليس هناك اكثر خطأ من اساءة تفسير هذه الفكـرة والقول بان رباط الطبقة والوضع الاجتماعي يختفي تماما بفضل هـذا التعليم . ان هذا الاتجاه الجديد في الربط بين المثقفين يتميز خاصة بان يحتفظ بعناصر تكوينها المتعددة في شتى صورها ، وذلك بايجاد وسط متجانس تستطيع الاتجاهات المتصارعة ان تختبر فيه قوتها . والتعليم الحديث من اوله صراع حي وصورة طبق الاصل ـ على نطـاق

(٢) التعبير هنا ترجمة Socially Unattached Intelligentzia ويعني بها الفئـة التي لاتنتسب لطبقة معينة .

من منشورات دار الاداب

دواوين نزار قبـاني

زينـة لكل مكتبة

	الثمـن
قصائد نزار قباني	٣٠٠ ق.ل
قالت لـي السمراء	٣٠٠ ق.ل
طفولة نهـد	٣٠٠ ق.ل
سـامبا	١٠٠ ق.ل
انت لـي	٢٥٠ ق.ل

دار الاداب

بيروت ـ ص.ب ٤١٢٣

ضيق ـ للاهداف والاتجاهات المتصارعة ، التي تنبثق في المجتمع على نطاق واسع . وعلى ذلك فالمثقف ـ بقدر مايهتم بافقه الثقافي ـ محدود بظروف مختلفة . فهذا التراث التربوي المكتسب يخضعه لتأثير الاتجاهات المعارضة في الواقع الاجتماعي ، بينما نجد الشخص الذي يشارك مباشرة في العملية الاجتماعية للانتاج ولا يوجهه تعليمه نحو الكل الاجتماعي يميل الى تشرب المعارف العامة لطبقته ، ويتصرف بدقة تحت تأثير الظروف التي وضعها هذا الموقف الاجتماعي المباشر .

ومن أكثر الحقائق المثيرة عن الحياة الحديثة ان النشاط العقلي فيها ـ بعكس الحضارات السابقة ـ لايقتصر على طبقة محددة تحديدا اجتماعيا دقيقا مثل رجال الدين وانما تقوم به فئة لاتنتمي لاي طبقة اجتماعية الى حد كبير ، كما انها تأتي من نطاق اجتماعي واسع ومتزايد.

وتحدد هذه الحقيقة الاجتماعية بشكل جوهري وحدة العقل الحديث الذي لايعتمد على نفوذ رجال الدين بالذات كما انه ليس مغلقا او محدودا ـ ولكنه عقل دينامي مرن في حالة دائمة من الصيرورة تواجهه دائما المشاكل الجديدة . بل ان النزعة الانسانية ذاتها تعبير عن هذه الفئة المتحررة اجتماعيا .

وبينما كانت طبقة النبلاء وهي التي تتعهد الثقافة ، فان الطبقة الجديدة قد حطمت جمود الارتباط العقلي بالطبقة في كثير من الوجوه، الا ان مستوى الحياة الثقافية حتى عصر السيطرة البرجوازيه لم يكن قد انفصل انفصالا حاسما عن الارتباط بطبقة معينة .

لقد كان للبرجوازيه الحديثه منذ البداية جذور اجتماعية ذات شقين، فبينما كان البعض من اصحاب رؤوس الاموال نجد البعض الاخر افرادا كل رأسمالهم هو التعليم . وكان من الشائع استخدام كلمتي « الطبقة المالكة » و « الطبقة المتعلمة » التي تكون على اتفاق من الناحية الايديولوجيه مع ذوي الاملاك .

وفي وسط المجتمع الحديث الذي يقسمه الشقاق الطبقي تقسيما عميقا تنشأ فئة لايستطيع علم الاجتماع الذي توجهه المصطلحات الطبقية وحدها ان يفهمها فهما دقيقا . ومع ذلك فان الوضع الاجتماعي الخاص بهذه الفئة يمكن ان يميزها تماما . فرغم انها تقع بين الطبقات الا انها لاتشكل طبقة وسطى ولا يعني ذلك طبعا انها معلقة في فراغ لاتتدخل فيه المصالح الاجتماعية ، بل على العكس فهي تضم كل هذه المصالح التي تحتويها الحياة الاجتماعية . وبازدياد واختلاف عدد الطبقات التي تصدر عنها فئات المثقفين ينشأ الاختلاف والتناقضات في الاتجاهات التي تعمل على المستوى الثقافي الذي يربطهم ببعضهم ، ويساهم الفرد بقدر قل او كثر في الاتجاهات المتعددة المتصارعة .

وبينما نجد ان هؤلاء الذين يشاركون في عمليات الانتاج بشكل مباشر (مثل العمال والمقاولين المرتبطين بطبقة معينة واسلوب معين في الحياة) ذوو وجهات نظر واوجه نشاط محددة بوضعهم الاجتماعي المعين تعيينا حاسما ، نجد ان المثقفين ـ بجانب وجود اثار طبقتهم الذي لاشك فيه محدودون في نظرتهم بالبيئة الثقافية التي تضم كل وجهات النظر المتعارضة . ويدفع هذا الوضع الاجتماعي دائما بالطاقة الكامنة في كبار المثقفين الى تطوير السياسة الاجتماعية التي تعتبر ضرورية والى ان ينسقوا خطتهم ازاء القوى المتصارعة ديناميا ، وهذا خلاف ماكان يحدث في بحث صحة وجهات النظر في خلال الوضع السائد لا بالصراع الدينامي .

وقد تحقق كذلك ـ وخاصة عن طريق الارتباط الثقافي بين هذه الفئة ونوع من الفهم المباشر للموقف الكلي حتى ان الاتجاه نحو البناء الفكري الدينامي كثيرا مايعاود الظهور رغم التحلل المؤقت الذي مازال علينا ان نعالجه .

وقد تأكد الان تأكيدا قاطعا الاثر السلبي الذي ينتج من عدم ارتباط المثقفين وعدم استقرارهم وسيادة صفة التأني في عقليتهم ، اذ انها كانت في فترة ما على وجه الخصوص الفئة المتطرفة سياسيا والتي اعتبرت تشتت التعاطف نوعا من التميع . ويبقى ان نتساءل عما اذا لم يكن اي قرار في جانب التوسط الدينامي ـ حتى على الصعيد السياسي ـ اكثر من قرار في جانب التعصب اللا حقيقي لنظريات الامس او التأكيد على جانب واحد من نظريات الغد .

هناك طريقان للسلوك سلكتهما بالفعل الطبقة المثقفة غير المنتمية كطرق مختلفة عن موقف التوسط هذا :

اولهما : الانحياز الارادي لطبقة او اخرى من مختلف الطبقات المتصارعة .

ثانيهما : البحث عن اهداف اجتماعية خاصة بهم ، وطلب تنفيذ رسالتهم كمدافعين حتميين عن المصالح الثقافية للجميع .

اما بالنسبة للطريقة الاولى ، فانه لابد من وجود المثقفين غير المنتمين في جميع المعسكرات على مر التاريخ . ولذا فغالبا ماكان يخرج من بينهم اصحاب النظريات الموالون للمحافظين الذين لايستطيعون الا بصعوبة بسبب استقرارهم الاجتماعي ان يكونوا على وعي نظري بانفسهم . وبالمثل يخرج اصحاب النظريات من المثقفين ليقفوا بجانب البروليتاريا التي تحتاج بسبب ظروفها الاجتماعية الى اكتساب المعرفة الضرورية للصراع السياسي الحديث . هذا وقد ناقشنا من قبل انتسابهم الى البرجوازية المتحررة .

وقد كان للمثقفين هذه القدرة على ربط انفسهم بطبقات لاينتمون اليها اصلا لانهم يستطيعون تكييف انفسهم مع اي وجهة نظر ولانهم وحدهم الذين كانوا في وضع يسمح لهم باختيار المعسكر الذي ينتسبون له ، بينما كان من النادر لهؤلاء الذين يرتبطون بالروابط الطبقية المباشرة ان يستطيعوا التعالي عن حدود نظرة طبقتهم . واختيار المثقفين الارتباط بالصراع السياسي بطبقة معينة يدمجهم مع هذه الطبقة اثناء الصراع ولكن لايعفيهم من عدم ثقة الافراد الاصليين لهذه الطبقة . وعدم الثقة

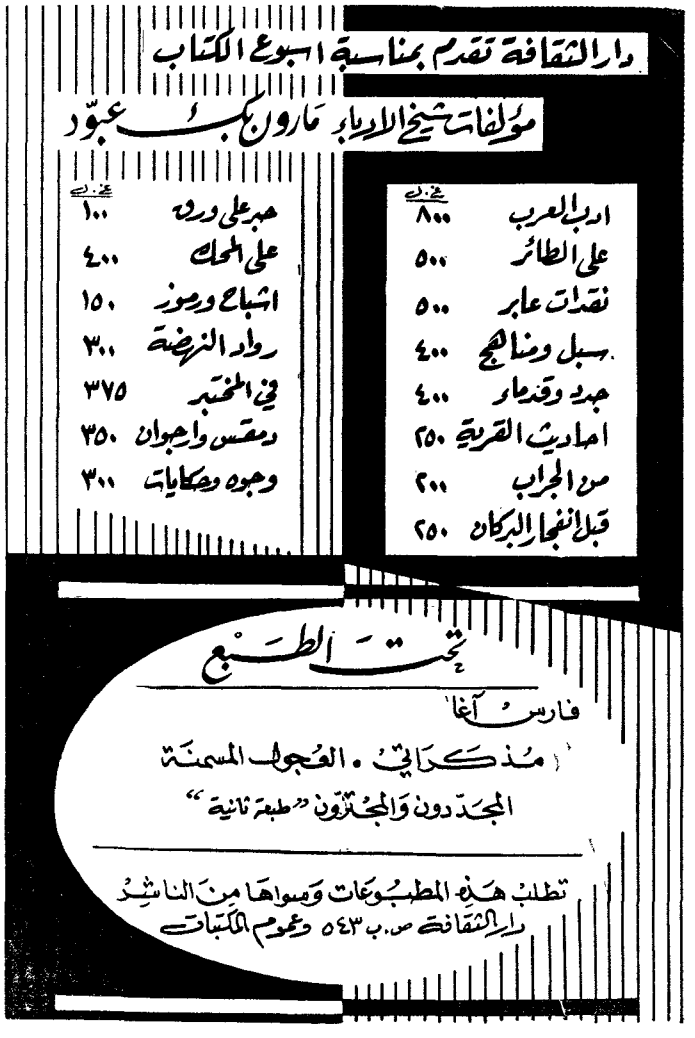

هذه هو العلامة الوحيدة على مايقوله علم الاجتماع من ان اندماج المثقفين في طبقة خارجة عن طبقتهم محدد بالخصائص النفسية والاجتماعية لهم انفسهم ، وخاصية الانتماء الى الطبقة المثقفة تفسر – من الناحية الاجتماعية – احتمال ان يغير البروليتاري الذي يصبح مثقفا شخصيته الاجتماعية . وليس هنا مجال دراسة احدى الحالات عن الطريقة التي واجه بها احد المثقفين عدم الثقة هذه ، وانما نريد ان نشير الى ضرورة فهم تعصب المثقفين المتطرفين على ضوء هذه الحقيقة فهي تدل على التعويض النفسي عن الحاجة الى الاندماج الاساسي مع طبقة معينة ، وضرورة التغلب على عدم الثقة في انفسهم وعدم ثقة الاخرين بهم .

وطبيعي ان يستنكر المرء الطريق الذي يسلكه بعض المثقفين الذي لانهاية له ولكننا هنا لانهتم الا بتفسير هذا السلوك عن طريق وضع المثقفين في البناء الاجتماعي ككل . وقد ينظر الى هذا التقصير او التطرف الاجتماعي على انه مجرد سوء استخدام لوضعهم الاجتماعي .

فالفرد ، بدلا من ان يركز طاقاته على الامكانيات الايجابية للموقف يقع ضحية الاغراءات الكامنة فيه ، ولا شيء اكثر خطأ من ان يحكم المرء على وظيفة طائفة اجتماعية معينة بناء عى سلوك ارتدادي لبعض افرادها وان يفشل في فهم ان « الحاجة الى الاقتناع » عند المثقفين هي مجرد الجانب الاخر للحقيقة القائلة بانهم وحدهم في وضع لابد ان يتوفر فيه الاقتناع العقلي . وعلى مر الايام يمكن النظر الى التاريخ على انه سلسلة من المحاولات والاخطاء ، حتى ليمكن ان يكون للاخطاء قيمة تجريبية ، وبمرور التاريخ اصبح المثقفون الذين لاينتسبون الى طبقة معينة في المجتمع هم اكثر الناس تعرضا للفشل . ولا بد ان تؤدي محاولات المثقفين المتكررة لربط انفسهم بالطبقات الاخرى والرفض الذي ووجهوا به الى مفهوم اوضح لمعنى وقيمة الوضع الاجتماعي الخاص بالمثقفين . والطريقة الاولى للسلوك – حتى خارج نطاق المثقفين – وهي الارتباط المباشر بالطبقات والاحزاب تبين الاتجاه – ولو عن غير وعي – نحو البناء الفكر الدينامي . ومن المعتاد ان الطبقة المحتاجة الى التطور العقلي هي التي تحظى بتأييدهم . ولقد كان صراع المثقفين منذ اول الامر هو الذي نقل صراع المصالح الى صراع الافكار . وهذه المحاولة لرفع صراع المصالح الى المستوى الروحي فيها جانبان :

فقد كان معناها من ناحية التمجيد الاجوف للمصالح المكشوفة عن طريق نسج الاكاذيب من جانب المدافعين عنها ، ومن ناحية اخرى كان معناها بطريقة اكثر ايجابية تحول بعض المطالب الثقافية الى السياسة العملية . وفي مقابل تعاونهم مع الاحزاب والطبقات اصبح المثقفون قادرين على القيام بهذا التحويل ولو لم يكن لهم فضل غير ذلك ، فان هذا يعتبر من اهم ماحققوه . وان وظيفتهم هي النفاذ الى داخل الاطراف المتصارعة لاجبارهم على قبول مطالبهم .

وقد يبين هذا النشاط الى حد كبير – من الناحية التاريخية – اين تقع الخاصية الاجتماعية ورسالة هذه الفئة – اللامنتمية .

والطريقة الثانية التي سلكتها ازمة المثقفين ، تقع على وجه التحديد في كونها واعية بوصفها الاجتماعي ورسالتها التي يتضمنها هذا الوعي. وحين يتحقق ذلك فان التأييد او المعارضة السياسية ستتقرر على اساس من الاتجاه الواعي في المجتمع طبقا لمطالب الحياة الثقافية .

ومن الاتجاهات الرئيسية في العالم الحديث ، الانتباه التدريجي الى الشعور الطبقي عند كل الطبقات ، واذا كان الامر كذلك فسيتبعه وصول المثقفين الى درجة من الوعي بوضعهم الاجتماعي العام ومشكلاتهم والامكانيات التي تكمن فيها وان لم يكن ذلك الوعي وعيا طبقيا . لقد كان لوضع المثقفين كظاهرة اجتماعية واتخاذهم موقفا سياسيا على هذا الاساس ، تقاليده الخاصة في التاريخ كما كان الامر كذلك حين اندمجوا مع الطبقات الاخرى .

ولسنا هنا بصدد بحث امكانيات السياسة التي من المناسب ان يتبعها المثقفون ولكن المحتمل ان يبين بحثها عدم قدرة المثقفين في الوقت الحاضر على ان يصيروا ذوي فاعلية سياسية مستقلة . ففي مثل عصرنا هذا ، حيث اصبحت المصالح والاوضاع الطبقية محدودة بشدة وتستمد قوتها واتجاهاتها من العمل الجماهيري نجد ان السلوك السياسي الذي يبحث عن وسائل تأييد اخرى – خارج نطاق الجماهير – لن يكون ممكنا . ولا يعني هذا على اي حال ان يمنع وضع المثقفين الخاص في المجتمع من تحقيق اشياء ذات اهمية بالغة للحياة الاجتماعية ككل . ومن اهم هذه الاشياء التعرف على الوضع الذي يمكن منه تحقيق البناء الفكري الكلي Total Perspective وبالتالي فانه يمكنهم ان يلعبوا دور المراقبين فيما قد يكون ظلاما حالكا .

لاننا نشك فيما اذا كان من المرغوب ان يلقوا الى البحر بجميع الامكانيات التي تنشأ عن وضعهم الخاص ان كل جماعة ذات وضع طبقي محدد تماما – قل هذا التحديد او زاد – لابد وان لها وجهة نظر سياسية مقررة . وحيث لايكون الامر كذلك مثلما هو الحال مع المثقفين يصبح هناك مجال واسع للاختيار وحاجة ملحة الى الاتجاه الكلي والبناء الفكري العام . وغالبا مايوجد هذا الاتجاه الاخير الناشيء عن وضع المثقفين حتى لو لم تؤد العلاقة بين مختلف الجماعات الى تكوين حزب موحد . وشبيه بذلك ان يظل المثقفون قادرين على الوصول الى اتجاه كلي حتى حين يرتبطون بحزب معين فهل تعبر القدرة على اكتساب وجهة نظر اوسع مجرد احتمال ؟ اليس من رسالة المثقفين في الوقت الحاضر ان يكونوا وجهة النظر هذه ؟ ان ذلك الذي له بالفعل حق الاختيار هو الذي يستطيع فهم البناء الاجتماعي والتاريخي ككل . وتعد هذه الفترة بالذات وهذه المرحلة من البحث او التأمل ، النقطة الاجتماعية التي يمكن ان ينطلق منها السعي الى تحقيق بناء ايدلوجي كلي . ولكن اتخاذ قرار ما لايكون ممكنا حقا الا تحت ظروف من الحرية تقوم على امكانية الاختيار التي لابد ان تظل قائمة حتى بعد اتخاذ القرار . ونحن نعزي امكان التداخل والتفاهم المتبادل بين التيارات الفكرية الى وجود مثل هذه الطائفة الوسطى اللامنتمية ، والمفتوحة دائما لافراد الطبقات الاجتماعية الشديدة الاختلاف بجميع وجهات نظرها . وفي ظل هذه الظروف وحدها يمكن ان ينشأ البناء الفكري المتجدد المتسع الذي اشرنا اليه .

صدر حديثا :

أعطنا حبا

ديوان جديد للشاعرة المبدعة

فدوى طوقان

دار الاداب – بيروت

وقد تضمنت الحركة الرومانسية ـ بنهجه وضعها الاجتماعي ـ توسطا ديناميا واسع النطاق بين وجهات نظر المتصارعة ، ولكن كان من طبيعة هذه القضية ان ادت الى وجهة نظر محافظة . وقد استبدل الجيل الذي جاء بعدها هذه النظرة بنظرة اخرى ثورية تتفق مع حاجات العصر. والمسألة الجوهرية اذن ، هي ان محاولة جعل هذا التوسط سياسة حية وربط المواقف السياسيه باتجاه عام سابق لايمكن ان توجد الا في هذا الخط التطوري .

ومن المتوقع اليوم ـ اكثر من اي وقت اخر ـ ان توجد هذه الفئة الوسطى الدينامية التي ستجاهد لخلق شكل سياسي خارج نطاق المدارس الحزبية يمكن معه تأمين البناء الفكري العام والاهتمام به .

ونحن مدينون بهذه الاتجاهات الحزبية على وجه التحديد بالتحقق من تحيز وخصوصيته المصالح والمعرفة السياسية . ولم يكن من الممكن ان تفهم كيف تعتبر السياسة علما الا اليوم ، بعد ان اصبحنا على وعي بجميع التيارات واستطعنا فهم العملية الكلية التي تنضوي بها الاهتمامات السياسية والمعارف العامة تحت ضوء الحياة الاجتماعية المحسوسة . وما دام من المحتمل ـ طبقا لروح هذا العصر ـ ان تنشأ كثير من المدارس الحزبية ـ فان من المطلوب ان نقيم بناء عاما في الثقافه سواء اكان في الجامعات او معاهد التعليم العليا التي تخدم تقدم هذه الصورة لعلم السياسة وليس افضل من ان يتمثل المثقفون الذين لهم اساس في المصالح الطبقية وجهة النظر هذه ـ وخاصة في شبابهم حتى يتمثلوا مفهوم الكل الاجتماعي .

وفي استطاعة علم الاجتماع السياسي الذي لا يهدف الى اتخاذ قرارات لكنه يمهد الطريق للوصول الى قرارات ، ان يفهم العلاقات في المجال السياسي والتي كان نادرا ما يمكن ملاحظتها من قبل ، وسيكون مثل هذا العلم ذا قيمة على وجه الخصوص في القاء الضوء على طبيعة روابط المصلحة من الناحية الاجتماعية كما سيكشف عن العوامل المتعددة التي تكمن وراء الاحكام الطبقية ، والطريقة التي ترتبط بها القوى الاجتماعية بالمصالح الطبقية التي يجب ان يضعها في الاعتبار كل من يعالج موضوع السياسة اذ ان بعض المصالح تقوم على تقاليد معينة تعتمد بدورها على محدودات كامنة في بناء الموقف الاجتماعي. والذي يستطيع وضع المشكلة على هذا النحو هو الذي يكون في مركز يسمح له ان ينقل الى الاخرين صورة لتركيب الجو السياسي وان يساعدهم في ادراك مفهوم كامل نسبي للكل الاجتماعي . وسيلقى هذا الاتجاه في البحث الضوء على طبيعة الفكر السياسي والتاريخي موضحا اكثر العلاقات التي توجد دائما بين مفاهيم التاريخ ووجهات النظر السياسية .

ولتلخيص هذا نقول : مهما كانت مصالحك فانها مصالحك كشخص سياسي ، اما ان لك هذه المصالح او تلك فان ذلك يحتم عليك ان تفعل شيئا ما لتحقيقها ، وانه يجب ان تعرف وضعك بالضبط في العملية الاجتماعية الكلية.

وبينما نعتقد نحن ان المصالح والاهداف لا يمكن تعلمها فانه من الممكن البحث في العلاقات البنائية بين الحكم ووجهة النظر ، بين العملية الاجتماعية وتطور المصالح. والذين يطالبون بجعل السياسة علما، يعلم المعايير والاهداف لا بد ان يعرفوا ان هذا الطلب يتضمن انكار الحقيقة السياسية ، والشيء الوحيد الذي يمكن ان نطلبه من علم السياسة هو ان يرى الحقيقة بعين الكائنات البشرية الفاعلة وان يعلم الناس عمليا فهم مناقشهم على ضوء هذه الاهداف العملية وعلى ضوء مركزهم في الموقف التاريخي الاجتماعي .

ولا بد ان يكون علم الاجتماع السياسي بهذا المعنى موائما لوظيفته كاحسن مركب ممكن لاتجاهات هذا العصر وان يعلم ما يمكن تعليمه فقط اي العلاقات البنائية لان الاحكام نفسها لا يمكن تعلمها ولكننا يمكن ان نصير على وعي بها حتى يمكن تفسيرها .

ترجمة : حلمي شعراوي

تعتز

دار العلم للملايين

بأن تقدم الى قرائها لمناسبة أسبوع الكتاب ، أقوى مجموعة من الكتب القيمة:

- معالم الفلسفة الإسلامية — للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية
- صفحات من الأمس القريب — وهل كانت ثورة العراق حتمية تأليف الدكتور عبد الرحمن البزاز
- الأرض الطيبة — أول ترجمة كاملة لرائعة بيرل باك الفائزة بجائزة نوبل ، تعريب الاستاذ منير البعلبكي
- أحدب نوتردام — طبعة جديدة لرائعة فيكتور هيغو المشهورة
- ذات ليلة من ليالي الخريف — لمكسيم غوركي ، تعريب الاستاذ منير البعلبكي
- القومية العربية أمام تحديات الأضداد — للدكتور محمد المجذوب وهو الكتاب الثالث من سلسلة " دراسات قومية "
- قيم الرقيق — قصة تاريخية رائعة للاستاذ اكرم الرافعي ، وهي الكتاب الثالث من سلسلة " آفاق عربية "
- تطور الأساليب الفنية في الأدب العربي — للأستاذ أنيس المقدسي
- الشابي : شاعر الحب والحياة — للدكتور عمر فروخ
- مارى انطوانيت — سيرة حياة مثيرة لستيفان زفايغ
- طقوس في الظلام — رواية تحليلية رائعة لكولن ولسون مؤلف كتاب " اللامنتمي "
- موت الأعزب وامرأة وحيدان — تعريب الأستاذ منير البعلبكي
- النكبة في صور — اضخم مجموعة صور فوتوغرافية تمثل النكبة الفلسطينية مع تعليقات وشروح للاستاذ عارف العارف